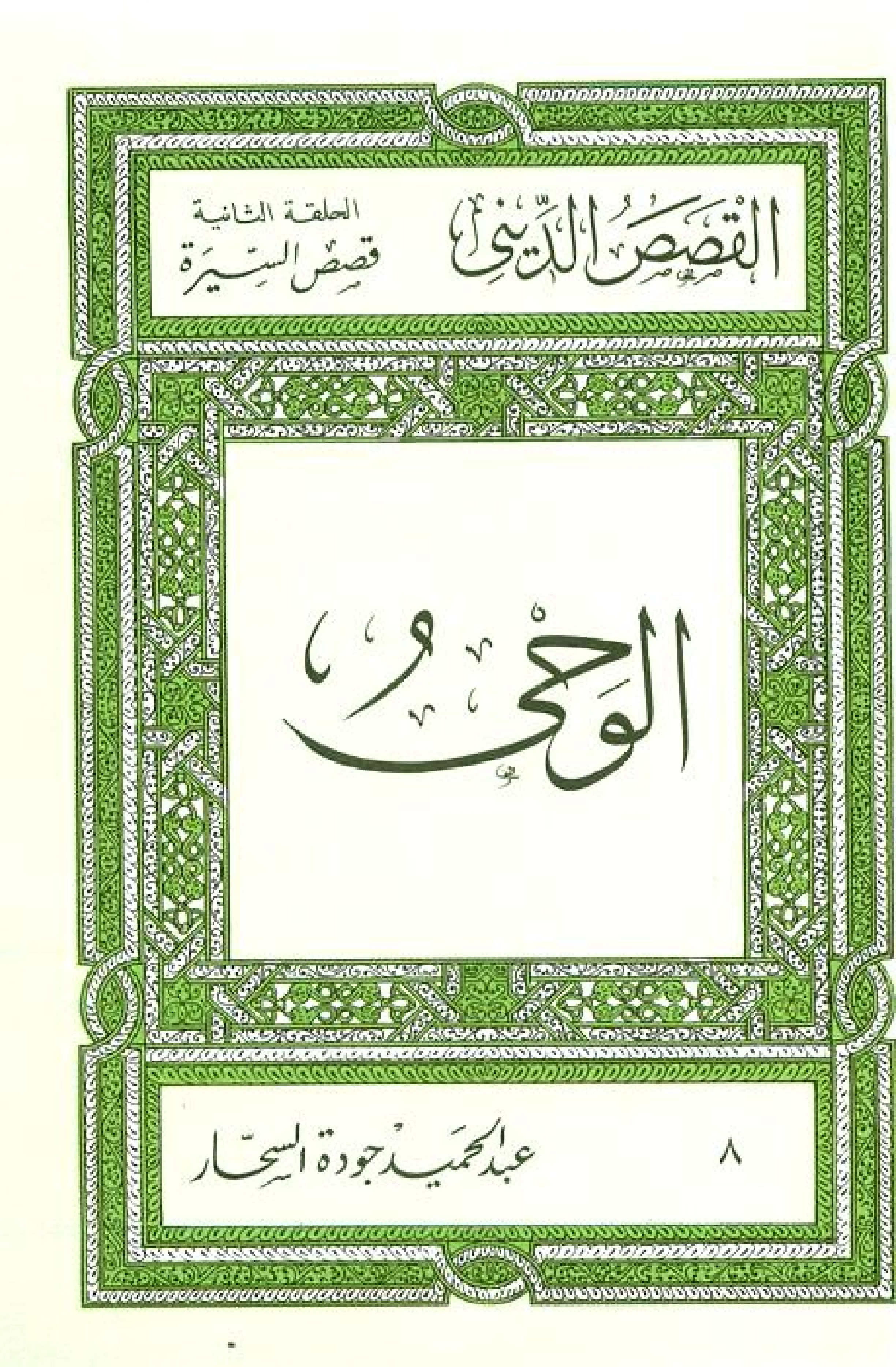

القصص الديني
الحلقة الثانية
قصص السيرة
الوحي
٨
عبد الحميد جودة السحار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقرأْ باسمِ ربِّك الَّذى خلَق ، خَلَقَ الإِنسانَ من علَق ، اقرأْ وربك الأَكْرم ، الذى علَّمَ بالقَلَم ، علَّمَ الإِنسانَ مَا لم يعْلم ﴾ .

(قرآن كريم)

١

عاش محمَّدٌ فى بيتِ خَديجةَ ؛ كان يُحبُّ زوجتَه ، وكانت زوجتُه تُحبُّه .

وكان محمَّدٌ فى ذلك الوقتِ يميلُ إلى التفكير ، فكان يُطيل التَّأمُّل ، وخديجةُ تلاحظُ سُكونَه ، فتتركُه لأفكارِه ، ولا تضايقُه بكثرةِ حديثِها ، كما تفعلُ النساءُ مع أزواجِهن . كانت خديجةُ عاقلة ، فكانت تتركُ زوجَها إلى ما تميلُ إليه نفسُه .

كان محمَّد يعودُ من الكعبة ، فيفكّر فى أمرِها ، وفى الثلاثمائةِ والستينَ صنَما التى بها ، فَيَعْجَبُ من قومِه الذين يعبدونَ حجارةً ينحِتونها بأيديهم ،

حجارةً لا تَسمع ولا تَرى ، ولا تستجيبُ لدعوةِ عُبَّادها الّذين يدعونها .

اهتدى محمَّدٌ إلى أنّ لهذا الكونِ إلهًا واحدا هو الّذى خلق الشمسَ والقمر ، والسماءَ والأرض ، والأنهارَ والجبال ، والإنسانَ والحيوان ؛ وأنَّ هذا الإلهَ الواحدَ هو الذى يجبُ أن يتوجَّه إليه الناس فى دعوتهم ، وهو وحدَه المستَحِقُّ للعبادة ؛ لذلك كان يأخُذُ طعامَه وشرابَه ، ويذهبُ إلى غارِ حِراء ، بعيدا عن ضَوْضاء الناس ، يعبُد اللّهَ فى ليلِه ونهارِه ، وكان يمكثُ فى الغارِ شهرًا من كلِّ سنة .

كان يُحبُّ الخلوة ، ففى الخلوةِ اتّصالُ الإنسانِ بالكَون ، وفيها يفرُغُ القلبُ من أشغال الدنيا ، ويصفو الذهنُ وتُشرِق أنوار المعرفة . كان محمد

يَقْضِى الشهرَ فى عبادة ، يُطْعِمُ من يمرُّ به من المساكين ، من الكعْكِ والزَّيت الذى يحمله معه .

وكان إذا نام فى الغار ، رأى فى نومِه رُؤًى ، فإذا استيقظ تحققت رؤاه ، فقد صَفَا روحه ، واتصلَ باللّه .

٢

ذهب محمَّدٌ إلى غارِ حِراء ، وهو فى الأربعينَ من عمره ، يحمل طعامَه ، يصومُ النهارَ يتعبَّد ، ويقومُ اللَّيلَ يتهجَّد . وغابتِ الشَّمس ، والتفَّ محمَّدٌ فى عبَاءته ، ووضع رأسَه لينامَ قليلا ؛ كانت هذه الليلةُ من شهرِ رمضانَ هى ليلةَ القدر .

وسمِع محمَّدٌ صوتًا يقولُ له وهو نائم :

ــ اقرأ .

فيقولُ محمَّدٌ له :

ــ ما أقرأ .

فيُحِسُّ شيئًا يضمُّه ، حتى يكادُ يكتُمُ أنفاسَه . ثم يتركه ويقول :

ــ اقرأ .

فيقولُ محمَّد : ما أقرأ .

فيضمُّهُ مرَّةً ثانية ، حتى يكادُ يكتُمُ أنفاسه ، ثم يترُكُه ويقول :

ــ اقرأ .

فيقولُ محمَّد : ما أقرأ .

فيضُمُّهُ مرةً ثالثة ، حتى يكادُ يكتُم أنفاسَه ، ثم

يقول :

ـ اقرأ .

فيقول محمَّد :

ـ ماذا أقرأ ؟

فيقول المَلَك :

ـ اقرأْ باسمِ ربِّك الذى خَلَق .

خَلَق الإنسانَ من عَلَق .

اقرأ وربُّك الأكرم .

الذى عَلَّم بالقلم .

علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم .

واستيقظَ محمَّدٌ من نومِه فَزِعًا ، وخرج من الغار مُهرْولا ، وإذا به يسمعُ صوتًا من السماء ، يقول :

ـ يا محمَّد ، أنت رسولُ اللّه ، وأنا جبِريل . فرفعَ محمَّدٌ رأسَه إلى السماء ينظر ، فإذا جبريلُ قدماه فى

أُفُقِ السَّماء ، يقول :

ــ يا محمد ، أنت رسولُ اللّه ، وأنا جبريل .

فوقف محمدٌ ينظرُ إليه ، فما يتقدَّمُ وما يتأخّر ، وجعل يَصْرِفُ وجهَه فى آفاقِ السماء ، فلا ينظر فى ناحية منها إلا رآه .

ظلَّ محمدٌ ثابتا ، لا يتقدَّم ولا يتأخّر ، وأرسلت خديجةُ تبحثُ عنه ، وهو واقفٌ فى مكانه لا يتقدَّم أمامه ، ولا يرجع وراءه .

٣

رجع محمدٌ إلى خديجة ، وهو يضْطَرب ، فقالت له :

ـ يا أبا القاسم ، أين كنت ؟ فواللّه لقد بعثْتُ رُسُلى فى طلبِك ، حتى بلغوا مكة ، ورجَعوا لى .

فقال لها وهو يرتجف :

ـ زمِّلونِى . زمِّلونِى .

فراحت خديجةُ تُغطّيه ، حتى إذا هدأ ، قصَّ عليها ما رأى ، وقال لها :

ـ لقد خَشيتُ على نفسى .

فقال له خديجةُ فى إيمان :

- كلا . أبشر ، فواللّه لا يخزيكَ اللّه أبـدا ، إنـك لتصِلُ الرَّحِم ، وتصدُقُ الحديث .

وجاء جبريل إلى محمد ﷺ ، وأنزل عليه القرآن :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبَّكَ فكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ، وَلَاتَمْنُنْ تَسْتَكثِر﴾ .

نام محمَّد ليستريح ، وخرجت خديجةُ إلى ورقَةَ ابنِ نوفل ، وكان ابنَ عمِّها ، وقصتْ عليه ما رأى محمَّد . كان ورقةُ قرأَ الكتب ، ودرسَ التَّوراةَ والإِنجيل ، فقال :

- والَّذِى نفسُ ورقة بيده ، لئن كنتِ صَدَقْتِنى يا خديجةُ ، لقد جاءهُ النَّاموسُ الأكبرُ (جبريل) الذى كان يأتى موسى ، وإنَّه لَنبيٌّ هذه الأمَّة ، فقولى له فليثبُتْ .

رجَعت خديجةُ إلى رسولِ اللّـه ، فأخبرتـهُ بقـولِ ورقة . وخَرج رسـولُ اللّـه يطوفُ بالكعبـة ، فلقيـه ورقة وهو يطوف ، فذهبَ إليه ، وقالَ له :

- يا بنَ أخي ، أَخبرْني بما رأيتَ وسمعت .

فأخبره رسولُ اللّه ، فقال له ورقة :

- والّذِى نفسى بيده ، إنكَ لنبىُّ هـذه الأمـة ، ولقد جاءك الناموسُ الأكبر ، الـذى جاء موسى ، ولَتُكَذّبنّ ولَتُؤْذَينّ ولَتُخْرَجنّ ولَتُقاتَلنّ ، لئـن أنـا أدركتُ ذلك اليوم لأنصُرَنّ اللّهَ نصرًا يعلمه .

٤

أصبحَ جبريلُ يجيءُ إلى محمَّـد ، يوحى إليـه أوامـرَ اللّه ، فأرادت خَديجةُ أن تتثبَّتَ من ذلك الـذى يـراهُ زوجها ، فقالت له :

ـ أَى ابنَ عمّ ، أتستطيعُ أن تخبرنى بصاحِبك هـذا الّذى يأتيك إذا جاءك ؟

قال محمد لها :

ـ نعم .

فجاء جبريلُ عليه السَّلام ، فقال رسولُ اللّـه ﷺ لخديجة :

ـ يا خديجة ، هذا جبريلُ قد جاءَنى .

فقالت خَديجة :

ـ قم يا بنَ عمِّى ؛ فاجلس على فَخذِى اليُسرَى .

فقام رسولُ اللّه فجلس عليها وقالت خَديجة :

ـ هل تراه ؟

قال رسول اللّه .

ـ نعم .

قالت له خَديجة :

ـ فتحول ، فاجلس على فخِذِى اليُمنى .

فَتَحَوَّل رسولُ اللّه على فخِذِها اليُمنَى ، فقالت :

ـ هل تراه ؟

قال :

ـ نعم .

قالت :

ـ فتحولْ فاجلسْ فى حِجْرى .

فتحوَّل رسولُ اللّه ، فجلسَ فى حِجْرها ، قالت :

– هل تراه ؟

قال :

– نعم .

فكّشَفَتْ عن وجهها ورسول اللّه جالسٌ فى حِجرِها ، ثم قالتْ له :

– هل تراه ؟

قال :

– لا .

قالت :

– يا بنَ عمّ ، اثْبُت وأَبشر ، واللّه إنه لَملك ، وما هذا بشيطان .

٥

ذهب محمَّدٌ إلى غارِ حراء ، وانتظر أن يرى جبريل ، ولكن مرَّت مدةٌ طويلة ولم يرَه ، فحزِن حزنا عميقا ، ظنَّ أنَّ اللّه تاركه ، وفيما هو فى حُزْنِه إذ سَمع صوتا ينادِى :

- يا محمَّد ، إنك رسولُ اللّه حقًّا .

فرفع محمدٌ بصرَه إلى السماء ، فإذا بالمَلَك الذى جاءه بحِراء ، قاعدٌ على كرسىٍّ فِى السماء ، ففرح بعودتِه ، وأخَذ جبريلُ يُعلِّمُه القرآن ، قال :

﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، مَا ودَّعَكَ ربُّكَ وَما قَلَى (أى ما تركك ، وما أَبْغَضَك منذ أحبك)

وَلَلآخِرَةُ خَيرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى ، وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ، فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ ، وَأَما السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ ، وَأَما بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ .